الندوة الثانية

هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة
التحديات السياسية والثقافية والحضارية

أدارها: الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس المجمع
وشارك فيها:
الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري، عضو المجمع
الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني، عضو المجمع

السبت 8 ذو القعدة 1412 هـ - 9 أيار 1992م

كلمة

الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

رئيس المجمع

أيها الأخوة والأخوات،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنه من دواعي سروري أن أقدم لكم هذه الندوة التي تطرح قضايامهمة، إن لم تكن أهم التحديات التي تواجهها أمتنا العربية الإسلامية فيالوقت الحاضر. وإن الغرض من هذه الندوة، لا يتعدى إثارة الفكروطرح القضايا التي تواجهها أمتنا العربية الإسلامية في أزمتها الحاضرةالتي باتت تمسُّ هويتها ومقومات وجودها، ونتفيّ الغبار من خلال (عاصفة الصحراء)، حول صدق الانتماء لهذه الأمة العظيمة التي تضربجذورها بعيدة في أعماق التاريخ. وقد كرمها الله سبحانه وتعالى،فأنزل القرآن الكريم وحياً على سيد المرسلين ، بلسان عربي مبين ،فحملت هذهالأمة لواء الهداية إلى الناس كافة. فكانالإسلام بتعاليمه السماوية، وقيمه الإنسانية السامية هو الذي حدد هوية أمتنا، وحفظالقرآن الكريم اللغةالعربية، لغة الوحي. فهي لغة خالدة بخلود هذا الكتاب العزيز. وقدتكفل سبحانه وتعالى بحفظه، إذ يقول عز من قائل في كتابه الكريم: ((إنّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِكْرَ وإنّا لهُ لحَافظِونَ)). سورة الحجر الآية[9].

فللقرآن الكريم هو الذي حفظ اللغة العربية، وبالتالي حفظ وجود أمةعربية ، ولولا هذا الكتاب العزيز لجرى للغة العربية ما جرى للغاتالأخرى التي بادت، أو تشعبت في لغات أخرى متباينة... فللعروبةوالإسلام هما المادة الأصيلة التي كونت الذات العربية الإسلامية على مر العصور حتى أيامنا هذه. فقد خرج العرب المسلمونمجاهدين في سبيل

الله، يحملون لواء الهداية لبني البشر كافة. (فالناس سواسية كأسنان المشط)، ولا فوق بين أسود وأبيض وأصفر، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. فنشأت أمة عربية إسلامية، وتحددت نظرتها إلى العلم والحضارة والكون والإنسان من خلال تعاليم القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. فأحلَّ الإسلام الإنسان مكانة سامية، وجعل العقل والفكر أهم ما يميز الإنسان من بقية المخلوقات. وجعل طلب العلم والمعرفة فريضة على كل مسلم ومسلمة... وأصبح البحث عن المعرفة تسبيحاً لله في ملكوته.. فالعالم الباحث عن المعرفة في مختبره وبين آلاته وأجهزته.. وفي مكتبته... يسبح الله في ملكوته.. فالبحث عن المعرفة عبادة... هذا هو أيها السادة، جوهر حضارتنا العربية الإسلامية، بلسانها العربي ونظرتها الإنسانية الشاملة، واحترامه العقل وحثها على طلب العلم والبحث عن المعرفة...

إن هذه المقومات جميعها قد ثبتت عبر القرون الهوية العربية الإسلامية، وهي مرتبطة بنواميس هذا الكون، التي سخّرها سبحانه وتعالى لحفظ كتابه العزيز ولغته العربية. فالقوانين، والنواميس التي تحكم الحوادث الإنسانية والمجتمعات البشرية تتم بمعزل عما يحب الإنسان ويكره، وإن الإرادة وترجمتها إلى الأفعال قد تعيق مسار الأحداث، وتشوهها، ولكنها لا تستطيع أن تلغي طبيعة هذه القوانين.

فالهوية العربية الإسلامية ، ليست قضية اختيار ، يمكن أن يتبرأ منها حكام قطر من الأقطار ، أو أن تلغيها مؤسسات استعمارية طامعة أو مسؤولون حاقدون على العروبة والإسلام. ولا أدل على ذلك من البحوث التي نظمت في أوروبا وفي أمريكا حول انتهاء وجود ما يسمى "أمة عربية " أو "هوية عربية "... وقد حدث هذا ويحدث في كل مرة تتعرض فيها أمتنا إلى الغزو، والحملات الاستعمارية.

ولا أذيع سراً إذا قلت، لقد وجدت لجنة المحاضرات والندوات في مجمع اللغة العربية الأردني أن الأمة العربية الإسلامية تجابه تحديات شاملة في العقيدة والإعلام والتقنيات والثقافة والحضارة والسياسة.. فقد اجتمعت اللجنة لاختيار إطار عام للموسم الثقافي العاشر لهذا العام.. فرأت أن "عاصفة الصحراء " قد تركت آثاراً مدمرة في كيان أمتنا العربية الإسلامية.. وإنّ النظرة العلمية العميقة تدلنا على أن هذا الزلزال، قد أظهر على السطح ما كان مستوراً بأقنعة مختلفة... فقد طفت على السطح ما أحكمت التخطيط له الدوائر الاستعمارية وصنائعها من أصحاب المصالح والمطامح الإقليمية والقطرية والطائفية... وقد امتدت هذه السياسات لتتجاوز استنزاف الموارد الاقتصادية والنفطية إلى استنزاف الفكر والمفكرين، وتسخيرهم في متاهات الخلاف، لإذكاء نار الصراعات بأشكالها المختلفة، وإنَّ من يمعن النظر في هذا كله، يخلص إلى أن ذلك كله يتم لخدمة أعداء الأمة والنيل من مصالحها العليا ومقومات وجوده ا.

ونحن إذا أعدنا النظر ، ومن خلال الغبار الكثيف الذي أثارته "عاصفة الصحراء " فيما آل إليه وضع أمتنا العربية الإسلامية، منذ الحرب العالمية الأولى حتى الوقت الحاضر ، نخلص إلى أن التجزئة والتخلف والوحدة والغزو الصهيوني الاستعماري، هي أهم المشكلات التي تجابهها أمتنا العربية الإسلامية في وضعها الحاضر... فقد انتهت الحرب العالمية الأولى بتجزئة الوطن العربي، إلى دويلات وإمارات وم شيخات تحت النفوذ الأجنبي ، وبالتمهيد للغزو الاستعماري اليهودي لفلسطين.. وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة 1945م، وبدأت حركات التحرر تأخذ طريقها في جميع هذه الأقطار.. وكان المواطن العربي يعتقد إذ ذاك أن الاستقلال والتحرر يعني الوحدة... ومضت السنون... ويحقق الغزو الصهيوني الاستعماري أهدافه... وتنهار شعارات التقليد الأعمى وتسقط

الأقزمة.. ويمعن الاستعمار بتحالفه مع الصهيونية العالمية، في سياسة التجزئة وإثارة الصراعات الداخلية واستنزاف الفكر والمفكرين بعد استنزاف الموارد الاقتصادية والنفطية..

فإلى جانب مشكلة التجزئة انهارت جميع مشاريع الوحدة، من الوحدة المصرية السورية في زمن عبدالناصر إلى الوحدة الهاشمية بين الأردن والعراق... إلى وحدة الضفتين... والاتحاد العربي الصوري بين مصر والأردن والعراق واليمن، فقد انهار هذا الاتحاد!! منذ اللحظات الأولى وبوب "عاصفة الصحراء".

وإلى جانب مشكلة "التخلف" العلمي والتقني، تطفو أزمة الفكر العربي الإسلامي وربما لا نعدو الصواب إذا قلنا إنها أزمة بين التقليد والإبداع، وبين النظرية والتطبيق، وبين الفكر والسياسة.

وإلى جانب مشكلة "الوحدة" أيضاً تطفو على السطح قضية اللغة العربية. فالعربية في الوقت الحاضر تشكل العنصر الوحيد الذي ما زال يجمع الدول العربية، ومن هنا تمتد الأيدي الخفية والظاهرة إلى إقصاء اللغة العربية عن دورها العلمي والقومي في الجامعات العربية، ومؤسسات البحث العلمي.. ففي إبعاد اللغة العربية عن سيادتها في أوطانها، تثبيت للتجزئة، وإدامة للقطرية، والتبعية السياسية والفكرية.. وإقصاء العربية عن أن تكون لغة التدريس الجامعي، والبحث العلمي في الجامعات العربية، والمؤسسات العلمية هو تثبيت لحالة التخلف العلمي والتقني، وإدامة لحالة التبعية والتقليد الأجوف.

وإلى جانب ذلك كله، تتجدد الحملات الاستعمارية الغازية في بلاد الشام مستهدفة فلسطين في مراحلها الأولى، متمثلة بالاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وفي الجزيرة العربية ومناطق الخليج، مستهدفة ثرواتها النفطية، ومتمثلة بشركات الاحتكار العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

وإلى جانب هذه الحملات الاستعمارية العسكرية والاقتصادية، يشن هذا الحلف الاستعماري الصهيوني حرباً تستهدف المقومات الأساسية للفكر العربي الإسلامي وثقافته وحضارته.

وخلاصة القول ، فإن التحديات التي تواجهها أمتنا العربية الإسلاميةفي جميع مناحي الحياة ، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ،هي تحديات تقتضي بالضرورة ، البحث في إعادة بناء الذات العربية الإسلاميةالتي نسعى لبنائها، وتحديد سماتها، وتوطيد دعائم علاقاتها بالشعوبالإسلامية ، وتفتحها الإنساني على كل ما هو حق وخير وعدل. ولن يتملنا ذلك إلا بتوطيد دعائم "حرية الفكر، واحترام حقوق الإنسان" لكييستطيع المفكر العربي علىمختلف اتجاهاته أن يبدع، وأن يضيف إضافاتأصيلة وجديدة، إلى فكر الأمة العربية الإسلامية وثقافتها ومنجزاتهاا لحضارية، ومن أجل استعادة أمتنا دورها الحضاري في بناء حضارةإنسانية متقدمة ومزدهرة.

كلمة

الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري

عضو المجمع

تواجه الأمة العربية في الفترة المعاصرة تحديات خارجية وتحدياتداخلية.

وقد نبدأ بالغزو الغربي لهذه الأمة لنشير إلى ما مثله من تحد حضاريوتهديد للهوية، وإلى استعمار رافقه تمزيق البلاد ومحاولة للاستحواذ علىالثروات وسعي لفرض التبعية.

وقد نصل إلى أزمة الخليج وما أحدثته من دمار وتمزق. حدث هذاوالأمة في حالة تخلف ،تسعى لبناء نفسها،والغرب في تقدم متسارع،كل هذا معروف.

وقد نشير إلى محاولات للتحديث والنهضة ،بدءاً بتحديث الجيشوالسلاح ، إلى إنشاء المدارس وتحديث التعليم لمواجهة الغرب بأسلحتهدون استيعاب لعلمه، وإحداث ازدواجية فكرية وثقافية.

كما قد نشير إلى السعي للإحياء وللنهضة بحركات إسلامية سلفيةأو تحديثية إصلاحية، أو أصولية (كما يقال) أو عربية قومية.

ثم نلتفت فنرى من بدأ في هذا الاتجاه لبناء المجتمع بعدنا، مثلاليابان، قد تجاوز التخلف وامتلك عناصر القوة. وقد يكون أدرك سبيلتطبيع العلم قبل أن نتركه، ولكننا نراه وقد امتد به الزمن في تحركه فيحين تآلب الغرب علينا في بداية المسيرة وبذل كل جهد ليقطع الطريق أوليحرفه. وإذا كان غيرنا حافظ على وحدته، كان علينا أن نسعى فيسبيل الوحدة لنجد الغرب يقف في وجهنا كلما قامت حركة بيننا تتجهنحو الوحدة لقرن أو أكثر إسلامية المنحى أو عربية الاتجاه.

كما ساند إسرائيل لتحدث نزفاً دائماً في القوى والثروة، ولتسهم فيكيل الضربات لبوادر التحرك والنهضة ، ولتؤكد التمزق.

ولا أريد أن أنسب ما نعاني إل ى التحديات الخارجية وحدها ، فلديناتحدي التخلف ، والتجزئة، وغياب المؤسسات، وانعدام الحرية وغيرها،ولكنني أريد تبيّن الطريق.

وهبّت رياح التغيير في الغرب، اتجاه نحو الإصلاح في طريقالديم قراطية في روسيا ليمتد إل ى الكتلة الشرقية بكاملها، وتحرك في طريقالكيانات الإثنية أو القومية ، واتجاه نحو تفرد قوة عظمى في الساحةالدولية. وكان تساؤل: هل نحن خارج الإطار العالمي أو سنتحرك فيوجهة مصير نختاره، أو ننتظر أن يغيّر غيرُنا وضعنا؟

وجاءت أزمة الخليج لتعصف. وكان واضحاً أن ما يسمى بالنظاما لعربي فقد فاعليته وتخطته الأحداث ، وأنه بحاجة لإعادة النظر، أولإقامة نظام عربي جديد.

جاءت أزمة الخليج تهز الأمة بعنف، ولن نسأل إن كانت نتيجةلانقسام البلاد العربية ولعجز النظام العربي، أو كانت سبباً لتدهورالنظام العربي.

ولكنها تمثلت في كسر بوادر الإرادة العربية المستقلة، وفي السيطرة علىالثروة الطبيعية الأساس (النفط)، وفي ضرب أي تطبيع للتقانة والانتقالمن نمط الا ستهلاك في العلم إل ى الاتجاه نحو المشاركة فيه ، وإلى تعميقالانقسامات لتتجاوز الحكومات والأنظمة إل ى المثقفين، وإلى تحويل تجربةالمجتمع ا لعربي إلى صورة جوفاء... كما كشفت عن عجز الجامعةالعربية ، وانتهت إلى التشكيك بوجود الأمة إن لم نقل الهوية. ولكنها فيالوقت نفسه أثارت فكرة التضامن العربي والإ سلامي على المستو ىالشعبي، وكشفت عن وحدة الشعور العربيالإسلاميفي المغرب والمشرق، وفتحت الباب بشكل أوسع أمام حوار أكبر بين النخبالإسلامية والقومية.

يرى البعض، أن الدور الحضاري للأمة قد يتحدد بالتحديات التيتتعرض لها والرد على هذه التحديات.

والتحدي الأكبر في العصر الحديث كان ولا يزال يتمثل في المواجهة معالغرب، في الماضي القريبوالحاضر.

تمثل التحدي أولاً في الغزو الغ ربي الاستعماري الذي بدأ بالأط راف ثماتجه إلى المركز، ورافقته التجزئة السياسية والعمل على فرض التبعيةالاقتصادية ، وكان الصر اع لتحرير الأوطان ، ولتحرير الإرادة

العربيةوالإسلامية، ولتجاوز التبعية، ولكننا جوبهنا بركيزة استعما رية استيطانيةتوسعية في قلب الأمة حتى صارت التحدي الأخطر.

وانتقلنا من الاستعمار التقليدي إل ى الجديد الذي يسخر البشر والمواردلخدمة مصالحه ويربط الاقتصاد به ، وكانت الولايات المتحدة طليعتهوراعيته.

وبعد انهيار الشيوعية ، وما رافق حرب الخليج من تعب ئة غربية ، بدتبوادر التحول إلى وضع جديد ، تتفرد فيهبالعالم قوة عظمى هي الولاياتالمتحدة، تنادي بالشرعية تحت مظلة الأمم المتحدة وبحقوق الإنسانوبالدعوة للحلول السلمية للمشكلات الإقليمية، لتفرض السلام الذيتريد والذي يخدم مصالحها بالقوة أو بغيرها، ولتتخذ ما يناسبها منمقاييس لا تخلو من ازدواجية ومن غياب القيم في التعامل الدولي.

ووجدت الأمة نفسها في حالة ضعف وفرقة ، إنْ لم نقل حالة عجزمن مواجهة مشكلا تها الرئيسية، وتركت الأبواب مفتوحة للتدخلوالهيمنة الخارجية.

إن هذا الوضع يتطلب جهوداً كبيرة للارتقاء إلى مستوى التحدي،للإصلاح ولتخطي الخلافات مع السعي لمزيد من التلاحم بين البلادالعربية.
وما يلاحظ في النظام العربي توزع عنا صر القوة بشكل يح ول دونقدرة أي قطر عربي بم فرده على قيادة النظام العربي،فتعدد القوىالتنافس بين بعضها يمنع المقدرة على المواجهة.

والجامعة العربية التي أقيمت لتنظيم التعاون بين البلاد العربية وتنسيقهفي إطار المحا فظة على سيادتها لم تتمكن أو تُمكّن من الجمع والتوحيد،وفقدت مجال الفاعلية الذي كان لها.

ومن هنا ظهرت أزمة النظام العربي في أواخر ال ثمانينيات، أو اختلالالعلاقات العربية الأمر الذي أدى إلى غياب إرادة عربية واحدة. وقوّىالا تج اه إلى تأكيد الدولة القطرية ، وتغليب المصالح القط رية والجزئية علىالعربية.

ولكن الدولة القطرية في عصر التكتلات أو القوة الطاغية لا توحيبالأمن أو ال ثقة (وقد ثبت فشلها). لذا هُدّد الأمن العربي من أكثرمصدر.

هذا إلى التقلص المتزايد لاستقلالية النظام العربي (قدرته على الحركةإزاء النظام الدولي). وكان من أثر الثروة الرفطية (المقترنة بالقطرية) مزيدمن دمج اقتصاد ع دد من الأقطار العربية بالنظام الرأسمال ي العالمي ، وتعاظمالمصالح الاقتصادية الغربية في البلاد الرفطية.

كل هذا يتطلب التفكير بتكوين نظام جديد في مستوى التحديات.التح د ي الرئيسي هنا هو التجزئة المضادة للاتجاهات الموحدة. وقد وقف الغرب دائماً في وجه المحاولات الوحدوية، تحت راية إسلامية أو عربية.وكل حركة نحو الوحدة قاومها الغرب في الما ضي والحاضر. وقد تلتقي المصالح الإقليمية مع وجهة المصالح الغربية عمداً أو بدون عمد كماحصل غير مرة، مما يزيد في خطر التجزئة.

وفي فترات الأزمات الكبرى، يظهر اتجاه الشعوب الوحدوي بصورةعفوية.
إن التهديد الأخطر هو إسرائيل، التي تسعى إلى تقسيم المنطقة العربيةوبلقنتها.
وسعت إسرائيل من مفهومها الأمني لكي يشمل منطقة الشرقالأوسط إلى باكستانشرقاً، وأوغندا جنوباً (الهجوم على المفاعل النوويالعراقي، حزيران 1981، والغارة على تونس في أول تشرين 1986 م).الخطر العسكري الإسرائيلي استهدف تحقيق التفوق العددي والنوعي علىأي قطر عربي على حدة، (ومن هنا أهمية التجزئة لها) مع التفرد (الآن)في المجال النووي، وتقدم واضح في مجال الصناعة العسكرية.
وإسرائيل مشروع لم تكتمل ملامحه النهائية بعد برأي أصحابه، إنهمشروع قابل للامتداد والتوسع والسيطرة. وهي قبل دخولها مرحلةالتفاوض، وبعدها تتطلع إلى تكثيف الاستيطان في الأراضي الفلسطينيةوالعربية المحتلة عام 1967م، لتكريس الواقع الذي تريده، فيما يفترضأن يكون نقطة (انتقالية) ،فلا يبقى على أرض الواقع ما يتفاوض عليهعملياً. كما أنها تعمل على متابعة الهجرة لليهود السوفييت وتشجيعها.

وفي هذا الوضع فإن قدرة الطرف العربي على التأثير على العلاقاتالأمريكية الإسرائيليةضئيلة.

ولكن الانتفاضة في الضفة الغربية، وقطاع غزة من فلسطين المحتلة(بدأت في كانون الأول 1987)، تمثل تحدياً جديداً وغير تقليدي لإسرائيل، مما يبين أهمية دعمها (التلاحم معها وتصعيدها). وعلى كلوب صرف النظر عما يجري للانتفاضة، فإن الخطر الإسرائيلي باق وتهديدهم مستمر.

ليست بصدد المبالغة في تصوير الأخطار، أو في تكثيف حالة الضعف العربي، بل أقول إننا بحاجة لإعادة نظر في التفكير والنظرة للمستقبل.

إن التحدي الأول للأمة هو تحدي الوحدة أمام التجزئة. فالوطن العربي يتعرض كمجتمع، وثقافة، وحضارة، لمواجهة شاملة، ولن

يستطيع تجاوز الأزمات أو تحرير إرادته إن لم ينجح في العمل باتجاهالوحدة بشكل أو بآخر.

هذا يثير تساؤلات: هل الخيار بين الوحدة/ الاتحاد، وعدمها، أوأن هناك خطوات ومراحل يمكن اتخاذها مثل تشجيع أية خطواتتوحيدية أو مؤسسات و مخططات عربية ؟ كيف تعالج مسألة الانتماءالمزدوج بين القطري والعربي؟ هل يدخل عنصر القوة في مجال العمل الوحدوي؟ هل يتجه العمل الوحدوي إلى الجماهير لدعمه ؟ وهل يكونالأسلوب الديمقراطي سبيل إقرار الوحدة/ الاتحاد؟.

ألم تكشف الجماهير بصورة عفوية في الأزمات عن تحدي الهيمنةالاستعمارية أميركية وغربية ؟ ألم تتخذ وجهة وحدوية وتناصر استقلالالإرادة العربية ؟.

كيف تعالج مشكلة الأقليات والجماعات الإثنية (البشرية) المختلفة فيالوطن العربي ؟ كيف يمكن تجاهل الاختلاف في الظواهر الاجتماعيةوالاقتصادية السائدة في الوطن العربي ؟ كيف نتعامل مع الاختلاف بينأسسشرعية النظم السياسية العربية القائمة ؟.

ألا توجد حاجة لوضع رؤية متكاملة أو شبه ذلك بالنسبة إلى موضوعالوحدة / الاتحاد من حيث الاتجاه والمؤسسات ، وربما الآلية؟ ألا نفحصجهودنا السابقة في هذا الاتجاه لنتبين الثغرات ، ولننقد الفرضيات ولنقوّمالخطوات، ونقف على أرضية أصلب للمستقبل؟.

قد يشار إلى خطوات على الطريق، مثل إقامة نوع من الاتحاداتالإقليمية، أو تعزيز الجامعة العربية و محاولة إصلاح نظامها لتكون أداةتوحيد لا أداة تحييد، أو إقامة تنظيمات ومؤسسات عربية عامة، تبدأمتواضعة و فعالة، ثم ألا يعتمد كل هذا على توافر الإرادة السياسيةالفاعلة ؟.

ألا نلاحظ هنا غياب القاعدة الشعبية للتضامن العربي ، إذ الشعوبالعربية هي بحق البعد الغا يب في تجارب التضامن والتكامل العربي؟.

ألا نلاحظ - كما حصل أثناء الأزمة- أنه لم تسلم مجموعة أو تيارسياسي من تحليلات ومواقف متناقضة داخل الكيان السياسي أو الحزبيالواحد؟ ألم تظهر الأحداث انعدام الرؤية المستقبلية الجادة مع انفصام عنالواقع ؟.

وإذا أريد للعمل الوحدوي ألا يكون مشروعافردياً ، بل مشروعاً يستند إلى القواعد الشعبية وإلى إ سناد الجماهير، فلنتذكر أن الشعوبليست لديها مؤسسات للتعبير عن تطلعاتها، إذ كانت تكتفي عادةبالتعبير العفوي عن وجهتها ورغباتها.

وهذا يأخذنا إلى التحدي السياسي الآخر، تحدي الديمقراطية أوالشورى ، بما يتطلبه ذلك من توفير الحريات واحترام حقوق الإنسان.

لقد دلت الخبرات والتجارب على أن الديمقراطية يجب أن تأتي فيمقدمة الأولويات. إن التاريخ المعاصر للمنطقة يؤكد أن معظم الأزماتفيها - بما فيها أزمة الخليج- تتصل بغياب الديمقراطية. ففي نطاق أنظمةسلطوية يتمتع فيها الحاكم بصلاحيات غير محدودة تسمح له باتخاذقرارات مستعجلة أو خطيرة قد لا تكون دائماً في صالح الأمة.

وفي هذه الحالة تبقى الأنظمة ضعيفة بنيوياً وعاجزة عن مجابهةالتحديات، وبخاصة الخارجية دون مشاركة الشعب السياسية.

إن المستقبل للشعوب الحرة، وحرية الإنسانضرورية لتفجير طاقاته.وشرط الحرية هو طرد المحتل الأجنبي،ثم إن الحرية مع التعدديةالسياسية، وحرية المجتمع المدني في تنظيم نفسه.

فلا بد من الاعتراف بحقوق الإنسان وبحرياته السياسية حقه في

التعبير عن آرائه، ومعتقداته بمختلف الوسائل وحقه في المعرفة، وفيتشكيل الأحزاب والمنظمات والجمعيات ، وحقه في المساواة ، وحقه فيالمشاركة السياسية. والد يمقراطية أو الشورى لا تكون دون مؤ سساتتجد الفكر السياسي وتنتقل بالديمقراطية/ الشورى من إطار النظرية إلىالواقع الممارسة.

ولدينا في تاريخنا الكثير من الفكر المتميز في الشورى، ولكن المشكلةالتاريخية عندنا تتصل بغياب المؤسسات السياسية، ولا بد من معالجة هذهالثغرة إن أردنا أن يكون للفكر معنى.

إن التحدي الأكبر للثقافة العربية الإسلامية، وللهوية يتمثل فيالمواجهة مع الحضارة الغربية وما يتصل بذلك من أثار.

وكان في طليعة ه مموم الأمة بعد موجة الغزو الثقافي والحضاري الغربيمسألة الهوية ، وما قد تتعرض له من تحريف أو طمس، والعمل علىالحفاظ عليها وتثبيتها.

وواضح أن الغرب - أوروبا وأمريكا- يتجه إلى طمس الشخصيةالثقافية للأمة وقيمها، وإلى التحدث عن ثقافة واحدة هي الغربية، وإلىالترويج لثقافة عالمية واحدة انتهت إليها البشرية.

وكان السؤال ما الموقف من الحضارة والثقافة الغربية ؟

ابتداءًالمشكلة في الأساس، كما عرضت، تخلف العرب والمسلمينتخلفاًواضحاً عن إنجازات الغرب في الفكر ، في العلم والتكنولوجيا، فيالمؤسسات، بل ذهب بعضهم إلى الإشارة إلى قواعد السلوك ونمطالتفكير ، وليس في نظر هؤلاء من مشكلات لدى الأمة ما لا يحله العلموالعقلانية والتكنولوجيا. هل الحل إذن في تقليد جديد؟.

رأى آخرون أن المشكلة تتلخص في إه مال التراث وفي تخلي المسلمينعن أصول الدين ومبادئ وقواعده وهي صالحة للتطبيق أبداً، وفي اتباعهم

لفكر مستورد غريب عليهم ول ثقافة بعيدة عنهم. هل الحل إذ ن في العودةإلى الأ صول أو إلى فتوة الإسلام الأولى؟.

وبين الاتجاهين مسلك توفيقي يرى الالتفات إلى التراث مع الأخذ منخير ما جاء به الغرب. ويأتي السؤال: هل يمكن التجزئة في الثقافةوالفكر؟ وهل يمكن فصل العلم والتكنولوجيا عن نواحي الفكر الأخربل عن القيم والمثل؟.

لن ندخل في جدل استمر طويلاً. ولكن هل يمكن البناء الثقافي دونقاعدة ثقافية أصيلة ؟ هل يمكن استيعاب التكنولوجيا دون تطبيع؟ هليرتطيع التحرك والتقدم في الثقافة من لم تكن له هوية؟ هذه قضاياتستحق كل عناية وتفحص.

ولكن ما أسس هوية الأمة أو مقوماتها؟ أمامنا أكثر من اجتهاد. بينمن يرى الإجابة في الإسلام عقيدة ونظاماً للحياة. وبين من يرى الإجابةفي العربية لغة وثقافة، وفي التراث.

وفي مواجهتنا للتحديات الخارجية والداخلية في العصور الحديثة وقبلهاكانت الهوية تتحد بالعربية لغة وثقافة وبالإسلام قاعدة ومحتوى.

هذا ويلاحظ أن جماهير الأمة العربية تحفظ في وجدانها ه ذا الترابط بينالإسلام والعربية كما يتبين في فت رات التأزم الحاد أو الشعور بالأخطار التيتهدد الأمة.

ويرتبط بهذا مباشرة التأكيد على أهمية العلاقات بين الوطن العربيودول الجوار الإسلامية لانتمائها جميعاً إلى دائرة العقيدة والحضارةالإسلامية. والعلاقات القائمة معها الآن تمثل تحدياًجانبياً، له جذورتاريخية واختلافات حديثة. ويجدر بنا التأكيد على الدائرة الإسلامية لاتخاذموقف يعزز وضع الجهتين.

عقدة الخلافات العربية التركية، المسؤولية عن انهيار الدولة العثمانية، والاستدارونة، ومياه الفرات ، والاتجاه الغربي. عقد الخلافات الإيرانيةالعراقية،نظرة كل طرف إلى دور الأخر في التاريخ، مشاكل الحدودوشط العرب والجزر العربية الثلاث.

لا تعدو هذه الملاحظات أن تكون مؤشرات عامة. ولكن هذا المجاللا يزال تحيطه عموميات ويعوزه الوضوح، ويتطلب جهداًمركزاًومتصلاً يتعدى المفاهيم العامة والشعارات.

ويكفي أن نشير هنا إلى اللغة العربية والتراث بملاحظات عامة:

فاللعربية ليست مجرد وعاء للثقافةوالتراث، على أه مية ذلك وخطورته،بل هي أيضاً أسلوب تفكير ، ووسيلة اتصال واستمرار لوجود الأمة.واللغة تعني نظام القيم الجماعية والفردية من خلال تعابيرها ومفرداتها.

والعربية تعبّر عن المستوى الفكري والثقافي لأهلها (وهي بعد و قيلرابطة أولى بين أهلها). وهي التي ترسم إطار الهوية العربية.

والعربية لغة الثقافة والثقافةليست أدباً وحسب كما يفترض ، بلتشمل حقول المعرفة بما فيها العلوم ، ويجب تأكيد هذه الناحية لئلا تكونثقافة عرجاء. ومن هنا كانلازماً التدريس والبحث والكتابة في كافةالحقول بالعربية.

لقد ارتفعت الدعوة للتدريس بالعربية في جميع المراحل، بوصفها رابطةبين أبناء الأمة وأداة تربوية فعالة في ترسيخ قيمها ومعالم شخصيتهاولتسهم في تعميق وحدة الفكر بين أبنائها.

وإذا كان القرار السياسي لازماً لتعميم التعليم في مراحله المختلفةبالعربية ، فيجب أن يتحمل أعضاء هيئة التدريس مسؤوليتهم بالمبادرة إلى التدريس بالعربية دون انتظار القرار ، وربما ساعد ذلك على اتخاذه في وقتأقرب.

ويجب أن يكون البحث والكتابة بالعربية،فالبحث أساس للتقدمالعلمي كما هو لإغناء الثقافة. وبعد هذا فلن نتمكن من الإبداع والمساهمةوالتقدم العلمي إن لم نكتب أبحاثنا بالعربية. ويجب أن تؤكد الجامعاتومراكز البحوث استعمال العربية في الأبحاث، فالتحدي الأكبر الذييواجهنا في العلم والتكنولوجيا هو في هذا المجال.

وبعد هذا يجب التوسع في نشر العربية الفصيحة وإيجاد الوسائلاللازمة لذلك، لأن اللهجات العامية تبعد العامة عن الفكر وتضعفالصلة بين قادة الفكر والجماهير، وقد تعني الانقطاع عن جذور الثقافةوأصالتها، كما أنها تساعد على الفرقة بين أبناء البلاد العربية.

والتراث في صلب هوية الأمة، وفيه مقومات شخصيتها. هل لدينامفهوم واحد للتراث؟ قد يفهم بالتراث كل نتاج المسيرة التاريخية للأمةمن علوم (عربية، وإسلامية ، وعلوم الأوائل)، وصناعات وفنون وقيم ، وقد يُفهم به الإنتاج الفكري لأمة أو جانب منه كأن يشار إلى الأدب أوالفقه والتشريع.

وقد يفكر بما هو حي من التراث أو الجوانب التي لا تزال تؤثر فيحياتنا ونظرتنا. كل هذا يتطلب موقفاً ونظرة واضحة إلى التراث.

والحديث عن التراث يتصل بالاتجاه السائد عن (الأصالة) و(المعاصرة) أو الجمع بين ما يفهم بـ (التراث) وما يفهم بـ (المعاصرة).

وهذا يثير نقطة أخرى: كيف نتعامل مع التراث ؟ هل المراد إحياءالتراث؟ إن هذا ييسر التعرف إلى التراث ولكنه يمثل مرحلة أولية. ولابد بعد ذلكمن تحليله وفهمه إذا أريد الإفادة منه في حياة الأمة.

وهنا نتساءل - هل نبحث في التراث لتوريغ مفاهيم وأمور وقيمحديثة بشكل انتقائي لإضفاءشرعية عليها؟ وهل يمكن أن تكون لناأصالة عن هذا الطريق. أو نبحث في التراث عما يمكن أن يفيد فيمواجهة مشاكلنا وحاجاتنا لصلته بتكويننا الحضاري والخلقي والنفسي

والفني؟قد يكون ذلك بصورة إيجابية أو يكون لتلافي سلبيات فشل(الشورىوالمؤسسات).

ثم هل ندخل التراث في تكويننا الثقافي وفي بناء الشخصية، وذلكبتمثل التراث أو جوانب منه وتقديمها للناشئ ولغيرهم؟إن هذه ناحيةمهمة. يكون ذلك بعرض نصوص وقراءات من الإنتاج الفكريالأدبي المتميز للأمة.

والتراث في فتوات التجزئة له أهمية خاصة،ففي تمثله والاستناد إليهتأكيد على المشتركالذي يعزز الاتجاه للوحدة. التراث يمكن أن يكونعامل توجيه ثقافي ونفسي وأخلاقي وفني.

وبعد فللتعرف إلى إنجاز الأمة الحضاري في فتوات ازدهارها، في مقابلفترات القلق أو الضعف، فيه بعث للهمم واستعادة الثقة وإثارةللطموح، على أن يكون ذلك على أساس من الوعي والأمانة.

ويحسن أن يلاحظ أن العنايةبالتراث يجب أن تكون بعيدة عنالتعصب أو الانغلاق أو التقليد. إنّ أزهى فتوات الحضارة العربيةالإسلامية فتوات الانفتاح والحيوية.

كلمة

الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني

عضو المجمع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى أله وصحبهومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها العلماء الأجلاء، أيها الأخوة الكرام.

يسعدني أن أشارك ، في ه ذه الندوة، عَلميْن من أعلام الأدبوالتاريخ ، وأن ألقي الضو ء على بعض التحديات الثقافية والسياسية التيتواجهها أمتنا من خلال النقاط التالية:

١ -بيان المقصود بالتحديات.
٢ -كيف وجه القرآن الكريم هذه الأمة لمواجهة هذه التحديات.
٣ -كيف وجه النبي العظيم صلى الله عليه وسلم أمته لمواجهتها.
٤ - التحديات في نظر ساسة الغرب فكراً وسياسة وخططاً.

أما المقصود بالتحديات فهو العقبات التي لا بدمن اجتيازها؛والأخطار التي لا بد من دفعها والأعمال التي لا بد من القيام بها للحفاظعلى وجود الأمة، وتحقيق أهدافها، ودفع أسباب الهلاك عنها. والأمةالعربية والإسلامية تملك قوة العقيدة والدين الذي يوحد بين أبنائها ثقافةوحضارة وتاريخاً، وتملك قوة العقيدة التي تبعث في أبنا ئها روح الجهادوالصبر والمقاومة، وتملك قوة اللغة الشريفةالمقدسة وهي لغة القرآنالكريم وما تحمله من فكر حضاري وقيم إيمانية إنسانية ترسخ وحدة ه ذهالأمة وتملك كنوز التاريخ المجيد الذي يعبئ أبناءها ، ويذكي فيهم روحالعزة وشرف المقاومة والج ه اد، والبناء والإعمار ، وتملك الوطن المتكاملبموارده الاقتصادية وثرواته البترولية والمعدنية وموقعه الاستراتيجي

العظيم بين القارات،فإذا ملكت ه ذه الأمة القوة العلمية والص ناعيةوالآلة العسكرية، ورسخت وحدتها السياسية والاقتصادية والثقافية، شكلت القوة العالمية التي تحرم الدول الاستعمارية من هيمنتها واستباحتهاب لاد المسلمين واستلابها خيرات بلادهم.

القرآن الكريم ينبه لهذه التحديات:

وقد نبه القرآن الكريم للتحديات السياسية والثقافية في قوله تعالى:َ))وَمَنْ أَظْلَمُمَمنْ مَنَعَ مَسَاجِدَاللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وسَعَى فِي خَرَابِهَاأُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُ مْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إلا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّن يَاخِزيٌ وَلَهمْ في الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ)) (البقرة آية 114).

فنبه القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة إلى اعتداء القوى الظالمةالمستبدة على مساجد الله وحجب رسالتها ، وهدايتها، حتى تحرم الأمةمد النور الذي يبدد الظلام ومن الحق الذي يزهق الباطل، ليبقى أهلالباطل في حصون باطلهم، كما نبهت الآية الكريمة إلى واجب الأمةالإسلامية في تحرير بيوت الله والأرض التي تقام عليها بيوت الله حتى لايدخلها هؤلاء الظالمون إلا في ظل حماية المسلمين وإذنهم وإعطائهم الأمانللراغبين في الدخول إلى هذه الأرض تحت السيادة الإسلامية. وقد ذكرالمفسرون أن المقصود بالمساجد في الآية: المسجد الذي عطل عن رسالتهفي بلاد الشام وه و المسجد الأقصى في فلسطين والقدس الشريف ، والمسجد الحرام في مكة المكرمة والجزيرة العربية.

وقد نبهت هذه الآية الكريمة إلى وحدة ب لاد الجزيرة العربية وبلادالشام الشاملة لفلسطين والأردن وسورية ولبنان ممتدة إلى مصر والعراقباعتباره ا أرض الدعوة والم ساجد الأوَل وحصن الإسلام وقلعته الأولى، فهي وحدة سياسية ثقافية حضارية روحها الرسالة الإسلامية.

النبي الكريم ينبه أيضاً لهذه التحديات:

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الوحدة السياسية الثقافية الحضارية بقوله: لا تشد الرحال إلا إل ى ثلاثةمساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى "حديثصحيح".

كما نبهت معجزة الإسراء والمعراج إلى الر بط بين مكة المكرمة والقدسالشريف باختيار الله أرض فلسطين والقدس الشريف من بين بقاعالأر ض، مسرى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، كما اختارها قبلة أولى ي صليإليها المسلمون و هم في مكة المكرومة لمدة ثمانية عشر شهراً.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه (لا يجتمع في جزيرةالعرب دينان) ما فرضه الله على المسلمين من تطهير جزيرتهم من أيوجود أو نفوذ غير إسلامي لتبقى ه ذه الجزيرة قلعة حصينة للدعوةالإسلامية.

كما وجه النبي أمته لتحرير أرض فلسطين وبلاد الشام بإنفاذه كتا ئبالمجاهدين لغزوة مؤتة التي تمثل أول مواجهة عسكرية في عه د رسول اللهصلى الله عليه وسلم لتحرير بلاد الشام ومنها أرض فلسطين والقدسالشريف. كما نبه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لهذا الهدف بقيادتهالشري فةللمسلمين في غزوة تبوك لمواجهة جيوش الرومان ، ولإخضا عالمحميات العربية الموالية للروم وتحريرها وتحويل ولا ئها للدولة الإسلاميةفي المدينة المنورة، وبعقده صلى الله عليه وسلم اللواء لأسامة بن زيد قبيلوفاته حتى تطأ خيله أرض (الدراون) من أرض فلسطين.

كل هذه الأحداث تدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم علىوحدة بلاد الجزيرة العربية وبلاد الشام وتحريرها ممتدةً إلى مصر والعراق،لتكون قاعدة الإسلام الحضارية والثقافية محررة من كل سيطرة أجنبية.

هذا والدارس للتاريخ الإسلامي يج د كيف كانت المساجد الثلاثة فيمكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، في ظل الدولة الإسلاميةالواحدة، والحرية السياسية التي ينعم بها المسلمون، شراايين حياة فيجسم الأمة الإسلامية تجري منها دماء العافية والقوة العلمية والثقافيةوالاقتصادية ،ممثلة بم دارس العلم وحركة العلماء والتجار ورجال السياسةوتنقلاتهم بين ه ذه المساجد الثلاثة دون قيود أمنية أو سياسية أو اقتصادية ،لترسّخ التعاون، وتزكي التفاعل بين أبناء الأمة الواحدة حتى إذا غابتشمس الخلافة الإسلامية فرض المستعمر التقسيم السياسي أو التبعيةالاقتصادية والسياسية، وما نتج عنها من تخلف وضعف لا يزال معالأيام ينمو ويشتد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويحمل أبناء هذه الأمة مسؤوليات عظيمة في مواجهة تحديات القطيعةوالانقسام والتخلف.

التحديات في نظر ساسة الغرب:

لعل من أكثر النصوص توضيحاً للتحديات الثقافية والسياسية التيتواجهها أمتنا العربية والإسلامية ما ذكره (باول شمتز) في كتابه (الإسلامقوة الغد العالمية)، الذي استهدف مؤلفه تبصير الغرب بعناصر القوة فيالإسلام ليأخذ حذره، ويعد خطته لمواجهتها ، ولتتحول عناصر القوة ه ذهإلى تحديات للمستعمر ليرسم خطته لتفتيت هذه العناصر وحرمان الأمةالعربية والإسلامية منها، وإبقائها تحت قيود التخلف والانقسام والتبعية.

يقرر (باول شمتز) أن عناصر القوة التي يملكها المسلمون أربعة(وهي تشكل أربعة تحديات للوجود الاستعماري تتطلب مواجهات لدقتيتهاوهدرها):

التحدي الأول: الموقع الاستراتيجي الذي يحتله المسلمون في العالم: وهذا يقتضي إقامة جسم غريب في هذه المنطقة يحرمها من ميزاتها هذا الموقع، و يحولها إلى الغرب. وكان هذا الجسم هو إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين.

التحدي الثاني: النمو البشري لدى المسلمين: وهو نمو يهدد في المستقبل تفوق الغرب، وهذا ما عبر عنه (شمتز) بقوله: (تشير ظاهرة نمو السكان في أقطار الشرق الإسلامي إلى احتمال وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب، فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوروبية).

وينظر الغرب إلى تزايد عنصر الشباب في المجتمع العربي الإسلامي بعين الحذر، ويرسم خططه الماكرة له در هذه القوة بالطوق التالية: -

أ - فصل التعليم الثانوي والجامعي عن حاجات المجتمع العلمية والزراعية والصناعية والعمرانية والجهادية العسكرية، وتخدير شباب الأمة بالشهادة المتوسطة والجامعية التي لا يجد بعدها الشاب عملاً منتجاً!

ب - فتح أبواب الهجرة أمام الشباب للانخلاع من الوطن.

ج - تشجيع المخدرات والمساعدة على تهريبها ونشرها بين الشباب.

د - تشجيع الفكر المنحرف الذي يجتث ولاء الشاب لدينه ولأمته ووطنه.

هـ - تشجيع الإعلام المنحرف الذي يقتل في الشباب روح المقاومة والانتماء والجهاد ويشيع بينه اللهو والفاحشة، ويصرفه عن حسن المقاومة والثأر من العدو الذي اغتصب أرضه وشرد شعبه، وقتل أبناءه.

و - قتل روح الطموح والإبداع والعمل عند الشباب الذي لا يجد بعد كفاحه الطويل في ميدان التعليم الجامعي والمتوسط راتباً يهيئ له السكن والعيش الكريم.

ز - تشجيع تحديد النسل، وحماية الجمعيات الداعية له وإمدادها بالمال والخبرات.

التحدي الثالث: (الثروات والمواد الخام في بلاد المسلمين)

وهي ثروات كبيرة يستطيع بها المسلمون بناء قوة صناعية تضارع أرقى الصناعات العالمية إن لم تفقها، وسوف تزداد هذه الثروات في وقت تقلفيه ثروات البلاد الأخرى.

وقد واجه الغرب هذا العنصر من عناصر القوة وحوله إلى عنصر ضعف وإفساد، بإقامة كيانات ضعيفة في بلاد البترول يرتبط حكامها به سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، وإحكام ربط أرض العرب الغنية بآبار البترول بمعاهدات عسكرية دفاعية حولت هذه البلاد إلى قواعد استعمارية أمريكية وغربية ، واغتصبت بترول العرب والمسلمين عن طريق هؤلاء الحكام، وحرمت الأمة من أعظم مصادر قوتها المادية والصناعية، ولم يكتف بذلك بل حول هذه الكيانات إلى سجون ومراكز عدوان على العراق، القطر العربي الذي مضى في طريق بناء قوته العسكرية والعلمية والصناعية ، من أجل هدر قوته البترولية.. ثم ضرب قوته العسكرية والعلمية حماية لأمن إسرائيل ووجودها واحتلاله الأرض فلسطين أرض الإسراء والمعراج ، وما تحمله من تحديات تهدد الوجود العربي والإسلامي أرضاً وحضارة ومقدسات.

التحدي الرابع: الإسلام

الإسلام هو أهم عناصر القوة في المجتمع الإسلامي وأخطرها ويعرف (شولتز) الإسلام: بأنه ذلك الدين الذي له قوة سحرية على تجميع الأجناس البشرية المختلفة تحت راية الوحدة ، بعد إزالة الشعور بالتفرقة العنصرية من نفوسهم، وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به إلى

الدفاع عن أرضه وثرواته بكل ما يملك من رخص في سبيل ذلك كل شيء حتى روحه.

أي قوة وجدانية بعثت هذه الإرادة في العالم الإسلامي، قوة الوحدة الفكرية للإسلام، ووجود الإحساس الحي للدين الإسلامي فهو ينتصر فيكل مكان ينزل فيه الميدان من عالأيديولوجيات الأخرى. إن اتجاه المسلمين نحو مكة موطن الإسلام الأول عامل من أهم العوامل في تقوية وحدة الاتجاه الداخلي بين المسلمين ، وأسلوب يضفي على جميع نظم الحياة في المجتمع الإسلامي طابع التماسك وصفته[1].

وقد سلك المستعمر بعد احتلاله لبلاد المسلمين وسقوط دولة الخلافة العثمانية طرقاً متعددة لمواجهة قوة الإسلام ورابطتها وآثارها منها:-

أ - تمزيق وحدة العالم الإسلامي السياسية بإقامة كيانات على أسس إقليمية وعشائرية وطائفية.

ب - كما حرص هذا التمزيق الإقليمي بدعمه بتمزيق ثقافي ، وذلك بتشجيع الدعوة إلى الفرعونية في مصر ، والأشورية في العراق ، والفينيقية في سورية، وإحياء النزعات الإقليمية والطائفية، والمذاهب الباطنية ، فالمستشرق الفرنسي (ماسينيون) هو الذي قام بإعادة كتابة العقائد النصيرية على أسس فلسفية ليعطيها قوة ، ويشجع بقاءها في سورية بعد أن رأى بان النصيريين في الشيعة، وكذلك الدعوات إلى فصل العروبة والقومية العربية عن الإسلام فنشأت في أحضان الجامعات الأمريكية في بيروت والقاهرة بعد أن غذاها المستشرقون وجعلوا المثال الغربي للشباب العربي قدوة يحتذونها في التخلص من التخلف السياسي والعلمي والاجتماعي، دون أن يفرقوا بين طبيعة المجتمعات والأديان والحضارات.

([1])الإسلام قوة الغد العالمية، لباول شمتز، ترجمة الدكتور محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة (1976).

ولعل تقرير اللجنة الدولية التي تألفت بأمر (السير هنري كاسبلباترمان) أحد رؤساء الوزارات البريطانية السابقين سنة 1907، يلقي ضوءاً على مخططات المستعمر لمصادرة مراكز القوة وأسبابها التي تهدد مصالح المستعمر في بلاد المسلمين، والتي تشكل تحديات مزدوجة فهي بالنسبة إلى المستعمر تعني أخطاراً لا بد من إزالتها ودفعها، وبالنسبة إلى الأمة العربية تعني القوة التي بها يدفعون عن أنفسهم خطر الهلاك والإبادة وتعني
مواجهة خطط المستعمر التي رسمها لحرمانهم من القوة وأسبابها.

يقول التقرير إن(الخطر الأكبر على الاستعمار يكمن في منطقة (الشرق الأوسط) فهذه المنطقة مهد الحضارات والديانات، ويسكنها شعب تتوافر له من وحدة تاريخه ولغته ومثله وآماله، وثرواته الطبيعية ونزعة أهله إلى التحرر ما يجعله مؤهلاً للنهوض من جديد، وانتزاع قيادة الحضارة البشرية...

أما كيفية مواجهة الخطر الذي يهدد المصالح الاستعمارية فكان من بين عناصرها فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي بإقامة حاجز بشري قوي وغريب يملأ الجسر البري الواصل بين القارتين، بحيث تشكل في هذه المنطقة وقريباً من برزخ السويس قوة صديقة للاستعمار الأوروبي ومعادية لأهل البلاد.

وقد حرص الغرب على تحقيق هذا الاقتراح بكل قوة حيث غرس قوة صديقة للاستعمار الأوروبي ومعادية لأهل البلاد وهي (إسرائيل)، وقد أقام كذلك كيانات مفككة يحرم عليها امتلاك أية قوة تهدد أمن إسرائيل ووجودها، كما يحرم عليها تهديد أمن إسرائيل بالسماح للمجاهدين بالانطلاق من أرضها إلى فلسطين المحتلة.

ورسم لهذه الكيانات سياسة تربوية وإعلامية وقانونية تقوم على إبعاد الإسلام عن الحياة، عقيدة وشريعة ونظام حياة، وتعوّد الحياة الغربية في

أسلوب طعامها ولباسها وسلوكها ، حتى يحرمها من قوة الأصالة والتميز الحضاري، وي سهل عمليات التطبيع والذوبان الحضاري في قبول الجسم الغريب القاتل لوحدتها وقوتها ووجوها والمكرس لأسباب ضعفها وهلاكها، وبلغ الأمر ببعض هذه الكيانات أن تحرض صحفها ورجال حكمها الولايات المتحدة الأمريكية على الاعتداء على العراق، بعد أن حركت جيوشها لتشارك القوات الصليبية الغازية في عدوانها على العراق من منطقة حفر الباطن!

لقد كانت جريمة العراق في نظرهم أن يمتلك القوة العلمية والتكنولوجية والعسكرية التي تهيئ له الدفاع عن أرضه والتحرر من الهيمنة الاستعمارية.. فرسموا الخطط وسخروا العملاء وقادوا الجيوش لتحتل أمريكا وحلفاؤها الجزيرة العربية ومنابع النفط من جديد ، وليعلنوا بوش النظام العالمي الجديد الذي تقود فيه الولايات المتحدة العالم لحماية مصالحها، والاعتراف بالشرعية الدولية التي تحرم على أهل فلسطين بلدهم، وتفتح أبوابه للغرباء اليهود الذين يهاجرون إليها من أنحاء الأرض تبني لهم المستوطنات وتقدم إليهم السلاح والمال والجنود.

وفي ظل الشرعية الدولية تستباح أموالنا وثرواتنا ومقدساتنا وشعوبنا ،وفي ظل الشرعية الدولية تُحمى الحكومات المستبدة، ويُحمى الحكام الوالغون في دماء شعوبهم المعطلون للديمقراطية وللدستور والمصادرون للحريات، ما دام هؤلاء الحكام يقومون بوظيفتهم في حماية المصالح الأمريكية والغربية وحماية أمن إسرائيل، وحرب الإسلام عقيدة وخلقاً وتربية وجهادا.

ولم تقتصر الولايات المتحدة الأمريكية على دعم الأنظمة الموالية لها

الخانقة للحريات ، المحاربة للإسلام بل م د ت يدها إلى الحركاتوالتنظيمات الحزبية المعادية للإسلام تمدها بالمال والدعم ولو كانت لا تتفقمع هذه الحركات في أه دفها الفكرية..

يقول (إيدن) رئيس الوزراء البريطاني الأسبق في مذكراته (إن أمريكا فيالخمسينيات راحت تنفق أموالها على نطاق مسرف لإعانة الشيوعية فيالشرق الأوسط، وكان غرض أمريكا من نشاطها السياسي والثقافيوالعلمي في هذه المنطقة هومحاربة المبادئ والعقائد الروحية والدينية التييؤمن بها سكان المنطقة)[1]. أما الزعيم الشيوعي (كاسترو) فإنه ينصح(إسرائيل) ألا تترك الحركة الفدائية تتخل طابعاًإسلامياًدينياً لأن ذلك يجعل منها شعلة من نار الحماس الديني،مما يجعل من المستحيل علىإسرائيل أن تصون كيانها معه لأن الفداء إذا تملكته عقيدة دينية ، وبخاصةفي المجتمعات الإسلامية تلاشت أمامه كل العقائد الأخرى بما فيهاالماركسية[2].

(1) مذكرات إيدن، ص 343، الطبعة الإنجليزية،نقلاً عن (المسلمون والبديل الحضاري ،للدكتور حيدر الغدير)، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص 36- 37، وانظر مانقله صاحب هذا الكتاب عن باول شمتز ص 34- 36.

(2) المسلمون والبديل الحضاري، د. حيدر عبدالكريم الغدير ص 37، طبعة المعهد العالميللفكر الإسلامي.